الفصل الخامس

التنبؤ بإبادة المسلمين الأوروبيين

obeikandl.com

obeikandl.com

الأسلمة أو الحرب الأهلية

يلخص المعلق الأمريكي دينيس براجير رؤيته لمستقبل أوروبا ويقول: من الصعب جداً تصور أي سيناريو آخر بالنسبة لأوروبا الغربية غير الأسلمة أو الحرب الأهلية. وبالفعل فإن هذين البديلين السيئين إلى أقصى حد ويبدو أنهما يحددان الخيارين الوحيدين أمام أوروبا المرتهنة بين قوتين متنازعتين" واحدة يمكن أن توصل المسلمين إلى الحكم والأخرى تدعو إلى طردهم. فإما أن تتحول أوروبا إلى امتداد لإفريقيا الشمالية أو أن تدخل في وضع شبيه بالحرب الأهلية. فأي طريق سوف تسلكه أوروبا؟ يتسائل المحللون الغربيون.

ظاهرة خوف المسلمين الغربيين

ومن الظواهر الجديدة التي رسمت ملامح مسلمي الغرب في السنوات الأخيرة ظاهرة خوف المسلمين هناك. اذ أصبحوا يخشون من قرار حكومي مفاجيء يأمر بطردهم أو ترحيلهم القسري.

كما تنتشر ظاهرة خوفهم من أعمال الإبادة الجماعية والتي يعتقد البعض بأنها قد تحدث بين لحظة وأخرى. وهذه المخاوف تجعلهم يعيشون في قلق دائم. وفي خوف مرعب. والحقيقة أن هذه المخاوف لامبرر لها وأن الغرب لن يرتكب حماقة كهذه بحق شعبه المسلم. ولعلّ من فوائد هذه المخاوف أنها ساهمت في إعادة قسم من المسلمين إلى الالتزام بقواعد الإسلام وقيمه. وإلى ازدياد ظاهرة التدين الإسلامي هناك.

وحشية الأوروبيين

وحشية الأوروبيين كبيرة وقاسية إلى حدّ أن الأوروبيين ظلّوا طوال قرون يخشون من ذكر كلمة إسلام أو مسلم. فالتعصب الكنسي كان يمنع بقوة مرعبة التطرق

obeikandl.com

للإسلام كله. ويحذر من التعرف عليه. وبناء على تلك التربية الوحشية تربّى الأوروبي طوال قرون على أسس شديدة العداء للإسلام. وهذه الوحشية التي مورست على الأوروبي منذ إزاحة المسلمين عن الأندلس، ظلّت مسيطرة في الغرب حتى عقود قليلة. فاليوم بدأ الغربي يتحرر من تلك الوحشية رغم أنه لم يتحرر منها بالكامل بعد، لكنه اليوم بدأ يسير في طريق هذا التحرر. ولتعزيز تحرر الأوروبي من هذه الوحشية التي تضلّه لابد من تدخل العرب والمسلمين في التأثير على المواطن الأوروبي. ويعتبر تدخل أسامة بن لادن وجماعة القاعدة في هذا الشأن ذا تأثير مفيد للمواطن الغربي نفسه في طريق تحرره الحقيقي الكامل. فغير مرة دعت القاعدة الأفراد الأوروبيين إلى اعتناق الإسلام وفي أيلول ٢٠٠٧ دعا بن لادن بوضوح الشعب الأمريكي لاعتناق الإسلام.

يقول المحلل الأمريكي "رالف بيتيرس" إن سيناريو السيطرة الإسلامية على أوروبا تماماً بعيد عن المستقبل كلّ البعد. وإن احتمال أن يكونوا على موعد مع الاستمتاع بالأمل في الاستحواذ على أوروبا عن طريق إنجاب الأطفال فهذا مستحيل كل الاستحالة، فإن المسلمين يعيشون في هذه القارة آخر أيامهم. فالغرب الذي انتبه إلى خطرهم لن يستمرّ في احتوائهم على الإطلاق. بل إنه بدأ يرفضهم بقوة، وسيزداد هذا الرفض تباعاً. فالتنبؤات بالحصول على السلطة في أوروبا من طرف المسلمين هي تنبؤات تتجاهل التاريخ و الوحشية المتجذرة في أوروبا نفسها".

صحيح أنّ التاريخ الأوروبي حفل بالمجازر الوحشية الكثيرة. فقد أباد الأوروبيون آلافاً من المسلمين بعد هزيمتهم في الأندلس. وأبادت محاكم التفتيش آلافاً من الأبرياء الآخرين.كما أن الحربين العالميتين أبادتا من الأوروبيين حوالي ستين مليوناً. لكنّ العصر قد تغير اليوم، والمفاهيم قد تغيرت. فالمواطن الغربي أصبح مدللاً والذكر أصبح مؤنّثاً كما يعترف بذلك الأوروبيون أنفسهم.

وإن مساحة الحرية الكبيرة التي حصل عليها الفرد تمكّنه من رفض التجنّد في جيوش تمارس الإبادة. كما أن الحداثة والتطور والإعلام وغيره كل هذا يكشف

الحقائق لكل فرد ويبيّن الزيف والخديعة السياسية الغربية. فلم يعد من الممكن أن تقوم حكومة غربية بخدع شعوبها وبجرّهم إلى حرب أهلية إبادية ضدّ أبرياء.

تمثلت وحشية الأوروبيين في منع الإسلام وحظره بالنتائج التربوية التي جعلت الفرد يخشى من ذكر الإسلام أو المسلمين. وبالأعمال والنتاجات الغربية من رواية وقصة وشعر ومسرح ورسوم زيتية كلها كانت تصوّر المسلمين على أنهم سفاحون متعطشون للدماء ومتخلفون وكارهون. وسلم الفكر الفلسفي الغربي تقريباً من العدائية للإسلام، لأن أولئك المفكرين كانوا منطقيين في أحكامهم. وهم الذين استفادوا من نتاجات الإسلام ومن ثقافته وادعوا بأنهم اكتشفوا تلك الأفكار المنطقية. وهؤلاء لزموا الصمت تقريباً تجاه الإسلام.

المسيحية لم تهذّب الأوروبيين

اعتنق الرومان المسيحية وحملوها من الشرق إلى أوروبا وجعلوها ديانة الإمبراطورية الرومانية. فراحت المسيحية تنتشر في أوروبا ومنها انتقلت إلى العالم. وقبل اعتناقه المسيحية كان الغرب متوحشاً ضالاً. وقذراً. وكانت أبرز سماته:

الاستهانة بحياة الإنسان، وممارسة القتل بوحشية، بل والتسلّي والتمتع بمشاهدة القتل والذبح والفتك وإراقة الدماء. ومن ذلك حلقات النزال بين شخصين أو بطلين يشاهدها الملوك والمتفرجون وتنتهي حتماً بموت أحد المتصارعين. وبقي اليوم من تلك العادات التمتع بمصارعة الثيران والتي تنتهي بموت المصارع الشهير أو الثور البهيم. ومن ذلك أيضاً مصارعة الديوك في بعض القرى الغربية.

وكان الغرب يظلم أبناءه ويفتك بهم ويمارس ضدهم استعباداً جائراً وقاسياً. كما كانت حملات الغرب تفتك بالشعوب وتنهب خيراتها.

وباعتناق الغرب للمسيحية لم يتغير العقل الغربي ولم يتهذب الغربي ولم يتحلّ بأخلاق إيمانية جديدة يمكن ذكرها. فالغرب منذ عشرين قرناً مضت ظلّ غارقاً في قذارته واستعباد الإنسان والفتك بالأرواح ونهب الخيرات.

وقد استشعر فلاسفة الغرب ومفكروه تلك المشكلة فذهبوا في مساع كثيرة لتهذيب الغرب ولتحميله قيماً أخلاقية وإنسانية وعقائدية. واضطر الكثير منهم إلى الإستعانة بنتاج الفكر الإسلامي دون الإشارة إلى مصدره، وقاموا بزرع هذا الفكر بين شتات النتاج الفكري الأوروبي. كما واضطر الغرب للبحث عن بدائل سريعة لحل معضلات القيم في مجتمعاته، فكانت الفلسفة الأوروبية الحديثة هي الملجأ الإضطراري له. وانطلقت الفلسفة من إيطاليا موطن الفاتيكان. وعمّت أوروبا وسعت لتهذيب العقل الغربي. واضطرت الفلسفة أيضاً لأن تستعير من الإسلام فكراً ونهجاً وقيماً كثيرة. وهذه كلها مازالت محفوظة في النتاج الفكري الغربي ومازالت تشهد على أهمية الإسلام بالنسبة للغرب. ورغم ذلك لم يتهذب الغرب كما يتوجب.

فبعدما عجز الغرب عن التهذّب اعتماداً على القيم الدينية المسيحية ظهرت الفلسفة كبديل عن المسيحية. ولأن مقصد الفلسفة كان تهذيب الأوروبي فقد اضطر الفلاسفة للاستعانة بالفكر الإسلامي ليصبح التهذيب أكثر انضباطاً. ورغم ذلك كله فقد بقيت الفلسفة بالنسبة للغربي مجرد فلسفة وضعية وفكراً بشرياً قابلاً للتغيير والنقد. ولذلك فلم تتمكن الفلسفة من تهذيب الأوروبي بشكل كامل بل قامت بتحسين أخلاقه وقيمه وتوجهاته وقامت بتهذيب دور الدولة التي اضطرت لمنح الفرد المزيد من الحقوق والقيم والحريات. وإذا قارنّا الغرب المعاصر الذي اعتنق المسيحية منذ ألفي عام والذي استفاد من الفلسفة طوال قرون نجده لم يتغير كثيراً عن الأوروبي المتوحش القديم.

فالأوروبي اليوم مازال يسعى لنهب خيرات الدول الأخرى. وهو يرتكب مذابح في الدول التي يستعمرها. وإسرائيل هي نتاج أوروبي تسعى لإهلاك المنطقة العربية وتقوم بإبادة الفلسطينيين بشكل يومي. وفي أوروبا نفسها نسمع عن سفاح يقتل خمسين امرأة، وآخر يقتل أطفالاً في مدرسة، وجرائم كثيرة مشابهة وكلها تعني أن الأوروبي لم يتهذب بعد، وأنه بعيد عن القيم الدينية والإنسانية. ثمّ، تقول آخر الإحصائيات إنه في الثانية الواحدة تحدث ثلاثة آلاف محاولة انتحار في الغرب وحده. فالمسيحية إذاً لم تهذّب الغرب رغم أنها قادرة على تهذيب النفس الإنسانية. لقد كان

العرب قبل الإسلام مجتمع قيم وعدل وقال فيهم الرسول الكريم: "*إنما بعثت لأتمم فيكم مكارم الأخلاق*" ولم يكن الغرب كالعرب ولن يصبح بمقامهم إلا إذا اعتنق الإسلام، فالإسلام وحده هو الحلّ الوحيد للمشكلة الغربية التي لم تجد حلاً طوال آلاف السنين.

الفاتيكان الذي يرمز للمسيحية الغربية يقذف بلسان البابا عداوة وعنصرية تجاه الإسلام والمسلمين، وذلك لاترضى به المسيحية على الإطلاق. فاندفعت المسيحية العربية بكل أطيافها إلى استنكار تحرشات البابا بنديكتوس.

ويحكى عن قساوسة ورهبان مثليين وشاذين جنسياً، وعن آخرين تحرشوا بالغلمان والأطفال. ورغم شذوذهم الإجرامي هذا أبقتهم الكنيسة في مناصبهم الدينية.

والكنيسة نفسها لم يحافظ الغرب عليها، إذ يجري بيع مباني وصروح كنائس قديمة، وتباع أحياناً لوحات وأثريات دينية تنتزع من الكنائس لتصبح سلعاً يقبض البعض أثمانها، وفي ألمانيا سيطرت جماعة السينتولوجيا على عدد من الكنائس وجعلتها مكاتب لها. وكلّ هذه الصور لايمكن أن نراها في المسيحية العربية المحافظة. إذ يحافظ في سورية على الكنائس المسيحية وتحاط بأشدّ الرعاية والحفاوة. فالمسيحيون العرب هم من المجتمع العربي الذي وصفه الرسول الكريم حين قال: "*إنما بعثت لأتمم فيكم مكارم الأخلاق*"

لقد صاغ الغرب المسيحية للتماشى مع ثقافته وطبائعه، ولم يحافظ على العقائد المسيحية، ولذلك فهو ليس أميناً عليها. ولهذا توجب إطلاق دعوة عالمية لوضع الثقة بالمسيحيين العرب وتحميلهم مسؤولية الحفاظ على الديانة المسيحية ورعايتها والتكلم باسمها.

هل اقتربت ساعة الحسم في أوروبا؟

يرى البعض أن مستقبل العلاقة الأوروإسلامية مجهولة، ويرجّح هؤلاء أن الأحداث الحاسمة التي سوف تحدد علاقة أوروبا بالإسلام لا زالت في طور التشكل، مما يجعل أن لا أحد يمكنه أن يُصدر حكماً نهائياً. ولكن ساعة الحسم قد اقتربت. فمن هنا إلى أواسط العقد المقبل تقريبا سوف تكون التذبذبات الحالية قد وصلت إلى نهايتها، بحيث سوف تتضح الأمور، والمعادلة "أوروبا-إسلام" سوف تضيق، والمنحنى الذي سوف يقرر مستقبل القارة سوف يكون عليه أن يظهر بوضوح. وإنه حري أن يكون من الصعب استباق هذا التحول، لا سيما وأنه دون سابقة تاريخية. فليس هناك أي مساحة ترابية بهذه الشساعة سبق أن انزلقت من حضارة إلى حضارة أخرى على إثر انهيار ديمغرافي، أو ديني، أو هوياتي لساكنيها. وليس هناك أي شعب سبق له أن انتصب أو تمرد إلى هذه الدرجة ليدعو إلى تراثه التاريخي. إن المشكل الأوروبي هو غير مسبوق وممتد وواسع لدرجة أنه من الصعب جداً فهمه، ومن المغري جداً تجاهله، ويكاد يكون من المستحيل استشراف أو التنبؤ بتطوراته الممكنة. إن أوروبا تسير بقاطنيها جميعاً في اتجاه المجهول.

لقد اقتربت ساعة الحسم كما تشير الأحداث. ولن تكون دموية كما يدعو بعض الغربيين لجعلها دموية. لقد دعا مسؤول أوروبي كبير (عن قناة الجزيرة ١١ أيلول ٢٠٠٧) دعا الأوروبيين للتظاهر ضد ماأسماه محاولة أسلمة أوروبا. وهذه الدعوة تعني ضمناً المواجهة بين مسلمي أوروبا ومسيحييها وتعني تسريع المواجهة منذ الآن. والقضاء على ظاهرة أسلمة أوروبا. وربما تحمل ضمناً رغبة بالقضاء على مسلمي أوروبا. مما يدل على أن ساعة الحسم باتت قريبة جداً.

التنبؤ بإبادة مسلمي الغرب

يسترسل المحلل الأمريكي في التنبؤ بمستقبل المسلمين الأوروبيين، فيرجّح احتمال ابادتهم التامّة على أيدي الأوروبيين أنفسهم.وفي هذا الصدد يصف أوروبا على

أنها المكان "الذي تم فيه ابتكار وإتقان الإبادة الجماعية والتطهير العرقي"، ويتنبأ بأن المسلمين "سوف يكونون محظوظين إذا لم يتم إلا طردهم فقط، وليس قتلهم وإبادتهم".

وتؤكد "كلير بيرلينسكي" على هذا الرأي في كتابها "تهديد في أوروبا: لماذا أزمة القارة هي نفسها أزمة أمريكا؟

وتؤيده ضمنياً بإشارتها إلى النزاعات القديمة وأساليب التفكير التي تُبتعث ببطءٍ من غيوم التاريخ الأوروبي والتي يمكن بالفعل أن توقِظ العنف لدى الأوروبيين.

هذا السيناريو يحتمل أن الأوروبيين الأصليين الذين لا يزالون يمثلون٩٥٪ من ساكنة القارة سيستيقظون يوماً ما ويلجؤون إلى فرض إرادتهم وسوف يقولون: كفى! ويعيدون إقامة نظامهم التاريخي من جديد. هذا هو احتمال الإبادة الذي يتوقعه كثير من المراقبين الغربيين. لكننا رغم إدراكنا لطبيعة المواطن الغربي ولتاريخه الطويل في ممارسة الإبادة فلا نتوقع أن يمارسها مرة أخرى على مسلمي أوروبا.لأن أوربيي القرن الواحد والعشرين ليسوا على الإطلاق مثل أوروبيي القرون الوسطى.

المحلل الأمريكي رالف بيتيرس يرى أن المسلمين سيتعرضون للإبادة في أوروبا قريباً. ويستدلّ على رأيه بالكثير من الأدلّة والشواهد. والحقيقة هي أن بين المواطنين الأوروبيين من يرجّح هذا الاحتمال الخطير. لكنّ ذلك سيبقى حبراً على ورق وليس لتلك النبوءات مكان في التاريخ المستقبلي.

مطالب بالتسلّح الغربي الكامل

يقترح بعض الأوروبيون طرقاً لمواجهة هذا المعسكر الخصم الجديد حسب رأيهم. وهو المدّ الإسلامي. ويقترح البعض هذه الاستعدادات للمواجهة:

إعادة التسلح بمعناه الثلاثي: التسلح العسكري بقوات تدخل مهيأة للتحديات الجديدة. والتسلح القانوني: بقوانين جديدة لمحاربة التهديد الإرهابي الجديد. والتسلح

الأخلاقي بمعنى إعادة التأكيد على قيم التراث المسيحي اليهودي للغرب، وهذه النقطة الأخيرة مهمة لأن المدافعين عن هذه النظرية تعوّدوا غالباً الحديث عن الانحطاط الأوروبي مؤكدين أن أوروبا التي أدارت الظهر للقيم المسيحية اليهودية ودخلت في اختلال سكاني كبير، وهي في الطريق إلى فقدان قدرتها على المنافسة الاقتصادية بل وتفتقر إلى الإيمان الأخلاقي الضروري للدفاع عن نفسها ستكون ضعيفة أمام التهديد الإسلامي. ويصل البعض حد الحديث عن شبح"أورابيا" [EUROABIA] أي: أوروبا الخاضعة للإسلام العربي. إنّ الخوف الأوروبي من شبح أورابيا لا يعبّر عن خوفهم مما قد يفعله الغربيون المسلمون، بل هو ناتج عن الخوف الأوروبي مما سيفعله الغربيون الذين يعتنقون الإسلام بكثرة هذه الأيام ويناصرون القضايا المتعلقة بالإسلام والعروبة. ويستنكرون سياسات الغرب الاستعمارية الظالمة، وهؤلاء الغربيون المسيحيون وغير المسيحيين يزداد اعتناقهم للإسلام في هذه الأيام حتى أصبحوا يشكّلون خطراً حقيقياً على البنية الثقافية الغربية.وهنا يسعناأن نذكر قوله تعإلى: (وما رميت إذ رميت ولكنّ اللّه رمى).

تاريخ الإبادة عند الغربيين

في أثناء الحرب العالمية الثانية مارس الغرب كله أعمال الإبادة الجماعية ضد أبناء الغرب نفسه، فكان الألمان يبيدون مدناً كاملة، بكافة طرق التدمير والقتل، وكان الحلفاء يبيدون بالمقابل مدناً ومعسكرات ألمانية كاملة. ولايتركون منها إلاّ الحطام والرماد.فقد أبيد في تلك الحرب خمسون مليوناً من الأوروبيين والجنود الذين تم استخدامهم. وبعد انتهاء الحرب، قام الحلفاء بابادة ملايين من الألمان بحجة اتهامهم بالانتماء إلى النازية المندحرة.وفي فرنسا وحدها تم قتل أكثر من مليون فرنسي بحجة تلك التهمة نفسها.وقد ساهمت الجماعات والعصابات الصهيونية بأعمال الإبادة تلك. وإن تلك الأحداث المرعبة هي التي جعلت المواطن الأوروبي يخضع ويخنع لسلطة العصابات الصهيونية، والتي مازالت تسيطر عليه وتفرض إسكاته وخنوعه حتى يومنا هذا.كما أن الغرب مارس إبادة مسلمي الأندلس بعد هزيمة

المسلمين فيها. وتحوّل من أراد أن ينجو بنفسه إلى المسيحية. وفي العصور الوسطى مارست السلطة الكنسية إبادة ملايين الأوروبيين المسيحيين فيما سميّ بمحاكم التفتيش. كما مارس الأوروبيون الذين استوطنوا في القارة الأمريكية أعمال إبادة للهنود الحمر. وشاركت الجماعات اليهودية بتلك الأعمال.وبررتها على أسس دينية يهودية آنذاك. وفي القارة السمراء أباد الغرب ملايين من الأفريقيين كما هو معروف.

لقد أباد الغرب مسلميه بعدما (دحر المسلمين عن الأندلس) وقد تم سحق مئات الآلاف من المسلمين الغربيين آنذاك. وسكن في قلب الغربي رعب وخوف من ذكر كلمة إسلام.!. واستمر هذا الرعب طوال قرون خلت. لكنّ الزمن تغيّر اليوم ولم يعد بمقدور الغرب أن يبيد أبناءه.

الإبادة من العقيدة اليهودية إلى المسيحية

والإبادة انتشرت في الفكر الغربي وأصبحت عقيدة وممارسة واقعية. وقد ساهمت العقيدة اليهودية في بثّ هذه العقيدة في أذهان الأوروبيين. فاليهودي عندما يمارس طقوس العبادة في المعبد اليهودي يقوم بإبادة الأضحية وحرقها حتى الرماد، وذلك باعتقاده أنه يقدمها للرب كوجبة وتقدمة ومائدة. والرب يطلب ويشترط في نصوص التوراة (المزيفة) هذه الإبادة.وتختلط صورة الإبادة كعقيدة عند اليهود بإبادة البشر واليهود منهم. فقد كانوا يقدّمون أولادهم كأضاح للرب، وتلك الأضاحي كانت تحرق وتباد.ومن هذا المنطلق كان زعم اليهود بأنهم قدّموا أبناء يهودهم للرب كأضاحٍ تم حرقها في الأفران الألمانية.وقد نجح اليهود في نقل هذه العقيدة الإبادية إلى العقيدة المسيحية الأوروبية.فتبنتها أوروبا ومارستها في الحياة اليومية. ومن هذا المنطلق نسمع عن جندي غربي يقوم بقتل مدنيين مكبّلين ومسالمين أو أسرى أو عائلة في العراق.

والحقيقة أنّ هذا الأمر ليس بعيد الوقوع، لكنّ احتمال حدوثه يبقى أقلّ بكثير من احتمال ازدياد النفوذ الإسلامي وسيطرته.فأبناء الغرب مهما أمكن للبعض أن يصفهم بالوحشية فهم مازالوا بشراً وأناساً.وقسم كبير منهم اليوم يرجح المحاكمة

obeikandl.com

العقلية ويتجاوب مع المعلومة المقنعة، ولعلّ الإسلام من هذه المعلومات التي بدأ الغربي يتفهمها ويتقبلها. وإنّ نسبة كبيرة منهم تتعاطف مع الذهن العربي والإسلامي. وإنّ ازدياد تعاطف حكّام الغرب مع اسرائيل وازدياد معاداتهم للمواقف العربية يزيد من رفض مواطنيهم لهم. وبالتالي يزيد من تعاطف الغربيين مع القضايا العربية والإسلامية.

صراع بين شعوب الغرب وحكّامه

في هذه المرة يتحول الصراع ويأخذ شكلاً جديداً. فقد أصبح صراعاً بين السلطة الحاكمة وشعوبها مسلمين وغير مسلمين. إذ تقوم السلطة بمنع تحرر مواطنها من قيوده، وبمنع دخول فكر جديد إلى ذهنه. وبمنعه من إجراء محاكمة عقلية للقضية الفكرية بمجملها، أي أن السلطة الحاكمة تريد إخضاع وخنوع مواطنها لكلّ ماتمليه هي عليه من إرادة. ولعلّ أهم ماتريد إبقاءه في مواطنيها هو المسيحية التي تمّ تفريغها بالكامل من كافة المعاني الدينية.والمسيحية الأخرى التي تم تحميلها عقائد يهودية صهيونية. فأصبحت هذه مسيحية خرافية وأسطورية. بل وتسمى بالمسيحية الصهيونية. وفي هذه المرّة اكتشف المواطن الأوروبي أسرار وأخطار لعبة التضليل التي تمارس عليه. فقد رأينا مظاهرات الاحتجاج في أوروبا وأمريكا ترفض خضوع الحكّام للسياسة الصهيونية. وتطالب بوقف أعمال العداء ضد العراق وأفغانستان. وترفض مرات عديدة جرائم الصهاينة التي تمارس ضد العرب والمسلمين في المنطقة. فالصراع في الغرب إنما هو في حقيقته صراع حكّام الغرب مع شعوبهم، وفي خضمّ هذا الصراع لم يكن أمام الغربي الاّ منفذ واحد للنور الساطع والنور المنقذ الذي يمكنه التعلّق به ويأتي هذا النور من الإسلام نفسه. فشعوب العالم الإسلامي تطلق باستمرار نداء الحرية من الهيمنة الغربية، وهذا النداء التحرري هو نفسه نداء الأوروبي للتحرر من الحاكم المتسلط عليه.وبينما يقوم الأوروبي بالتعرّف على مشكلة الشعوب الإسلامية مع حكام الغرب فإنه يكتشف حقيقة عنصرية السلطة الحاكمة في الغرب. ويتعرف على عقيدة المسلمين وعلى تاريخهم الطويل في

التسامح مع الآخر وفي احتواء الآخر وجعله من ضمن الكيان الإسلامي. وهذا التعرف على الإسلام هو الذي يجعل أبناء الغرب يتعاطفون مع المسلمين ويتمنّعون عن إبادتهم في أي يوم من الأيام، بل ويجعلهم مندفعين ليدخلوا في دين الإسلام أفواجاً.

إن الصراع الذي يجعله حكّام الغرب صراعاً إسلامياً مسيحياً إنما هو في حقيقته خشية حكّام الغرب من تنوير شعوبهم بهدي الإسلام. أي أنه صراع حكّام الغرب مع شعوبهم.

ذريعة: الحرب ضد الإرهاب

يشكل القضاء على الإرهاب الجهادي هدفاً مهماً مشتركاً للبلدان الإسلامية والغربية ورغم أن التعاون بهذا الخصوص ليس سهلاً على الدوام فإنه يبقى مطلوباً جداً. إن أية عمليات جديدة ضد الغرب ستهوي بصورة الإسلام في الغرب وتؤدي زيادة على ذلك إلى موجة خوف من الإسلام تعقد المساعي –التي تبقى مطلوبة - لدمج المسلمين الأوروبيين.

ومن هنا فالموضوع إذن يصعب استشرافه، إذ يعود أكثر إلى مهارة الأمن في إحباط عمليات معينة. ومهما يكن فيمكن التفاؤل – بحذر- لسببين: أولاً، من المؤكد أن تأثيرات العمليات الإرهابية ضد الغرب تتجه إلى أن تصير أخف لأن المحاولات باتت أقل ولأنها تحبط غالباً. ثانياً: يبدو أن تأييد الشعوب للإرهاب الجهادي هو في طور التناقص.

محاولة إدماج المسلمين في المجتمع الغربي

في هذا السيناريو المحتمل، وهو الأكثر مدعاة للابتهاج عند الأوروبيين جميعاً بمن فيهم المسلمين، يتوصل الأوروبيون الأصليون والمهاجرون المسلمون إلى التوافق على طريقة للعيش معاً، ويتعايشون مجتمعين في انسجام ووئام تام.

ويعرض الأوروبيون فكرة الإدماج على أنها الرؤية المتفائلة للمسلمين. وتقول دراسة صدرت سنة ١٩٩١ في "فرنسا، فرصة للإسلام" أنجزها كل من "جان-هيلين" و"بيير باتريك كالتينباش". تقول الدراسة: "لأول مرة في التاريخ، تمنح للإسلام فرصة أن "يستيقظ" في بلد ديمقراطي، غني، لائيكي، ومسالم". وهذا الأمل لازال يجد له دعاة يواصلونه"

لعلّه من الواضح أنّ مايطلق عليه في الغرب مشروع إدماج للمسلمين هو في حقيقته محاولة لجعل المسلمين يتخلون عن شيء اسمه ثقافة وفكر وانتماء. وهذا يعني الإسلام. وهو التخلي الذي لايمكن أن يحدث لأي مسلم عادة. فيصبح الإدماج خديعة للمسلمين تعني إرغامهم على التخلي عن الدين الإسلامي. وضمن هذا السياق لينجح الغرب في محاولة الإدماج كلها. كان على الغرب أن يبدأ بتلك المحاولات منذ عقود وأن يصل في نتيجتها لقناعة بفشل محاولاته. واليوم سبق السيف العذل. وأمام ظاهرة المدّ الإسلامي الكبير في الغرب بات من الواجب أن يتناسى الغرب فكرة الإدماج بكاملها.

أطروحات لدمج المسلمين الأوروبيين

يمكن أن يساهم المسلمون الأوروبيون، الذين ينتمون إلى العالمين في آن واحد، في مد الجسور بينهما لكن يكمن الخطر في اتجاه أقلية منهم إلى التشدد والعنف وهو ما يعرقل اندماجهم ويوفر محضناً للإرهاب. ولا بد من بذل مجهود يجمع ثلاثة عناصر لتحقيق هذا الدمج المتوازن:

أولاً: الدفاع عن قيم الحرية بما في ذلك التأكيد على حرية النساء المسلمات في أن يقررن بأنفسهن دون أي ضغط ذكوري، وأيضاً حرية الرأي الكاملة التي دافع عنها البعض بقليل من الحماس أثناء أزمة الرسوم الدانماركية.

ثانياً: تحسين وضع المسلمين من حيث العمل والتعليم والوضع المعيشي. وتحسين صورتهم في الإعلام من أجل تجنب أن يتحول الانتماء الديني إلى عائق عن الصعود الاجتماعي.

ثالثاً: المجهود القانوني والأمني من أجل استئصال أي محاولة إرهابية تطال المسلمين.وهذه الاعتداءات قائمة بالفعل، ويمكن تحاشي تصاعدها.

إن الصعوبات الموجودة اليوم في هذه العلاقات تعود في جزء مهم منها إلى مشاعر الاستياء لدى المسلمين الذين يحمّلون في الغالب الغرب المسؤولية عمّا يتعرضون له من مشاكل. ويتوجب أن يكون تشجيع التفاهم والتعاون بين العالمين هماً مشتركاً وحقيقة نافذة.

دراسات حول الإندماج الثقافي

قام مركز "بيو" لأبحاث الشعوب والنشر بمسح كبير للاتجاهات في ربيع ٢٠٠٦، عنوان المسح "الانقسام الكبير: كيف يرى الغربيون والمسلمون بعضهم بعضاً،" وتم فيه مقابلة مسلمين من مجموعتين من البلدان: ستة بلدان أغلبية سكانها منذ زمن بعيد من المسلمين (مصر واندونيسيا والأردن ونيجيريا وباكستان وتركيا)، وأربعة بلدان في أوروبا الغربية يمثل المسلمون فيها أقلية حديثة العهد (فرنسا وألمانيا وبريطانيا وأسبانيا).

obeikandl.com